

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في ”مقامات الزمخشري وابن الجوزي“

الباحثة : ريام عباس عبادة

أ.د شيماء خيرى فاهم

**The poetry of the narrator and his narrator in
Maqamat "al-Zamakhshari and Ibn al-Jawzi"**

Researcher: Reyam Abbas Obada

Prof. Shymaa Khayri Fahim

University of Qadisiyah/ Faculty of Education

The department of Arabic Language

Abstract:

The thresholds are one of the most important elements of the "parallel text" that has attracted the attention of critics and scholars at the present time. Because of its suggestions trying to decipher texts. The research tried to show the purposes of the title threshold and the initiation threshold in "Maqamat al-Zamakhshari and Ibn al-Jawzi" as a common literary genre in the Abbasid era. Lattice threshold address. As for the second: it came under the title of "The Threshold of Initiation" poetry. Then the epilogue followed them

Key words:

Atabat, Al-Zamakhshari, Ibn Al-Jawzi, Estlal, the title in the Maqamat, Gerard Genet, the purposes of the titles, main titles, sub-headings

الخلاصة :

تعد العتبات من أهم عناصر "النص الموازي" التي لفتت انتباه النقاد والدارسين في الوقت الحالي ؛ لما لها من ايحاءات تحاول فك شفرات النصوص. وقد حاول البحث أن يبين مقاصد عتبة العنوان وعتبة الاستهلال في "مقامات الزمخشري وابن الجوزي" بوصفها جنس أدبي شائع في العصر العباسي، إذ عملنا على رصد شعرية عتبة العنوان وعتبة الاستهلال في المقامات بترتيب منهجي ، ف جاء البحث مقسم إلى مبحثين ، الأول : جاء بعنوان : شعرية عتبة العنوان. وأما الثاني : فجاء بعنوان شعرية عتبة الاستهلال. ثم تعقيهما الخاتمة.

الكلمات المفتاحية:

عتبات ، الزمخشري ، ابن الجوزي ، ، استلال ، العنوان في المقامات، جيرار جينيت، مقاصد العنوانات، عنوانات رئيسية ، عنوانات فرعية.

المبحث الأول : عتبة العنوان

التفتَ الفكر النقدي المعاصر إلى العنوان ، ، فسوّر هُويته ، وأشار إلى دلالاته ، وقصدية انتخابه بوصفه نصّاً موازياً لنصِّ أصلي ، وعدّه أهمّ عناصر المناص (النص الموازي) ؛ لما يوفره من مفاتيح تسهم في تأويل النصوص ، وتُفصِّح عن هُوياتها الإجناسية^(١). فهو عند "جيرار جنيت" (مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل ، وحتى نصوص ، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه ، وتعيّنه ، وتُشير لمحتواه الكلي ، ولجذب جمهوره المستهدف)^(٢). ويرى "محمد فكري الجرار" أنّ وظيفة العنوان تُضارع في جوهرها وظيفة (الاسم للشئ) ، به يُعرّف ، وبفضله يتداول ، يُشار به إليه ، ويدل عليه ، ويحمل وسم كتابه ، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان بإيجاز يناسب البداية علامة ليست من الكتاب جُعلت له ، لكي تدل عليه)^(٣) ، فالعنوان دالٌّ لساني ، يُعيّن النصّ ، ويؤشّر محتواه ، ويغري المستهلك بالإقبال عليه .

يقترح "كلود دوشي" ثلاث مستويات للعنوان بناءً على وظائفها التعيينية ، ومكان وجودها أولها العنوان الرئيس ، والآخر العنوان الثانوي ، والثالث العنوان الفرعي^(٤) هذه المستويات تمنح القارئ معرفةً أولية شمولية عن المقروء ، وتُقدّم وظيفة شرح النص الكبير المعقد الذي يحمل اسمه ، ليسهل التعامل معه من خلال ما ينصّ به النصّ الصغير. فهو علامة نصية ، تسعى إلى الكشف عن ملامح المجهول (النص) ، وتخلق جواً من الألفة يستأنس بها

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الزمخشري وابن الجوزي".....(260)

القارئ قبل أن ينخرط في رحلة استكشاف النص ، والتسلل إلى اجزائه الداخلية.^(٥)

أما "جيرار جنيت" فقد حدد العنوان بثلاث وظائف : تعيينية تُخبر عن الكتاب^(٦) ، ووصفية أو إيحائية تصف النص بأحد مزاياه^(٧) ، واغرائية تحثّ القارئ صوب اقتناء الكتاب ، ومعرفة عوالمه^(٨) ، هذه الوظائف مُجمعةً : تعيين العنوان ، وتلخص مضمون النص ، وتُعدّ مفتاحاً تأويلياً للعنوان والنص ، وتقدّم قيمة إيحائية مشحونة بدلالات النص ، إضافة إلى فاعليتها في إغراء القارئ وتشويقه ؛ صوب النص وفضاءاته^(٩)

إن هذه الوظائف التي تحدث عنها الخطاب النقدي المكرس حول العتبات النصية يَمّمَت الفكرَ الاجرائي صوبَ اجتهاداتِ الأدباءِ والكُتّابِ في صوغِ عنواناتِ نصوصهم ، وشحنها بمجسات تأويلية ، وتنميتها بالخط ، والصورة المصاحبة ؛ لما لعتبة العنوان من تأثير كبير ، وبالغ الأهمية في بناء النص.^(١٠) فهي تترك أثراً في تحقيق قصيدة المؤلف ، والولوج إلى عوالم النص ؛ لتوضيحه ، وفك شفراته ، وإزالة الغموض عنه .

١- العنوان في المقامات :

إنّ "مقامات الزمخشري" و"ابن الجوزي" من الأعمال الأدبية التي تحاكي الواقع الاجتماعي في ذلك العصر ، وتحاول أن ترصد مشاكله ، وتسعى لإصلاحها ، وقد وصلت إلينا مقاماتهما خالية من عنوان رئيسي يحتوي مضامين المقامات ويكشف عن فحواها ، ولكنها مُسورة ببعد إجناسي مستوحى من إضافة لفظ المقامة – بصيغة الجمع - لمبدعها على النحو الآتي : "مقامات الزمخشري" و"مقامات ابن الجوزي"

إنّ وضع المؤشر الإجناسي موضع العنوان يعدّ سمةً بارزة عند المقاميين في تلك القرون ، ويبدو أن "بديع الزمان الهمداني" أوّل من وضع عنواناً

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمخشري وابن الجوزي".....(261)

تجنيسياً لمقاماته , وقد كان غرضه من هذا التجنيس تعريفَ القارئ بالهوية الاجناسية الجديدة للعمل الأدبي المسمى بالمقامات ، حتى أصبح سمة لعنوانات مقامات من جاء بعده.

إذا تأملنا القواعد الضابطة للبنية اللسانية للعنوانين "مقامات الزمخشري" و "مقامات ابن الجوزي" نلقي أنفسنا أمام جملةٍ إسميةٍ تقوم على حذف المبتدأ، وتكتفي بالخبر إيجازاً وتكثيفاً ، فقد جاء تركيب العنوان "مقامات" خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هذه" ، ثم شرعاً بإضافة الخبر "مقامات" الى نسيمهم "الزمخشري ، ابن الجوزي" ، فأصبح التركيب : "مقامات الزمخشري" ، و"مقامات ابن الجوزي" ، ويبدو أن الإيجاز والتكثيف هما من يقف وراء هذه البنى اللسانية ، فضلاً عن قابلية هكذا بُنى عن الكشف المباشر عن المضمون ، ونسبته إلى صاحبه دونما دعوة إلى افراط في التأويل ؛ لأن التعيين وظيفةٌ جوهريةٌ لهذه العنوانات.

٢- مقاصد العنوانات الداخلية في المقامات :

إنَّ تأمل العنوانات الداخلية لـ"مقامات الزمخشري" و "ابن الجوزي" ، ومحاولة تصنيفها تصنيفاً مستمداً ممَّا توفره لنا نظرية الحقول الدلالية يضعنا أمام مقاصد متنوعة : دينية ، واجتماعية ، ونفسية ، وثقافية أدبية فـ"مقامات الزمخشري" تحمل:

١. مقاصدَ دينية تتمثل في مقامة : (التقوى ، الرضوان ، الزهد ، التسليم ، الطاعة ، الاستقامة ، الولاية ، التوحيد ، العبادة ، التصبر ، الخشية ، الدعاء ، التصدق ، الشكر ، الموت ، الفرقان ، النهي عن الهوى ، الانابة ، التهجد).

٢. مقاصدَ اجتماعية تتمثل في مقامة : (المرشد ، المراقبة ، الارعواء ، الزاد ، الحذر ، الاعتبار ، التوقي ، الظلف ، الاخلاص ، العمل ،

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمفشري وابن الجوزي".....(262)

اجتناب الظلمة ، الاسوة ، النصح ، التماسك ، الشهامة ،
الصدق).

٣. مقاصد ذاتية نفسية تتمثل في مقامة : (الصمت ، المنذرة ، الطيب

، القناعة ، العزلة ، العفة ، الندم ، العزم ، الخمول)

٤. مقاصد أدبية ولغوية تتمثل في مقامة : (النحو ، العروض ، الديوان

، أيام العرب).

أما "ابن الجوزي" فقد تضمنت عنوانات مقاماته :

- مقاصد دينية تمثلت في مقامة: (في حكم الأشياء ، فيمن اسبغ عليهم
النعم ، في نبينا محمد (صل الله عليه وسلم) ، في السفر الى الله عز
وجل ، في إيقاظ الغافلين ، في النهي عن النظرة ، في ذكر الحج
والعمرة ، في الصدقة ، في طب القلوب ، في ذم الهوى ، في ذم ابليس
، في وداع رمضان ، في علم القرآن ، في الزهد في المال ، في
الاستسقاء)
- مقاصد اجتماعية تمثلت في مقامة : (في الحب وإيثار المحبة ، في ذم
الدنيا ومدحها ، في ذم ابناء الدنيا ، في ذم الأكل في قوة العز ، في
الغزاة ، في ذم البخل ، في حسن الصحبة والمداراة ، في تفضيل
العلم والعمل ، في المحبين ، في التعازي ، في ذم البخل ومدح الكريم
، في هزل وجد ، في الأخ الصادق)
- مقاصد أدبية لغوية تمثلت في مقامة : (في وصف قاص ، في وقائع
القصص ، في شيء من اللغة ، في الأمثال ، في الاحاجي والمكاتبه
والمواعظ ، في ضرب الأمثال وحكم الحيوان)

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمضري وابن الجوزي".....(263)

● مقاصد ذاتية ونفسية تمثلت في مقامة : (في محاكمة النفس وصاحبها العقل ، في الشيب ، في النفس ، في سلطنة النفس والهوى وسلطنة القلب ووزيره العقل ، في الخلوة ، في دواء العشق ، في العزلة ، في مخاطبة العقل للنفس)

● مقاصد إرشادية وعظية تمثلت في مقامة : (في المواعظ ، في وعظ السلطان ، في وصف واعظ ، في الوعظ)

● مقاصد طبيعية وجغرافية تمثلت في مقامة واحدة وهي (في الربيع).

ومن الجدير بالذكر أن "ابن الجوزي" عنونَ بعض مقاماته بأسماء مصنفاته وتلمسنا ذلك في مقامة (في ذم الهوى) فهو لديه مصنف بعنوان (ذم الهوى) وفي مقامة (في ذم إبليس) تُضارع مصنفه (تلبيس إبليس)، وفي مقامته (في الوعظ) نلتمس عنوان مصنفه (في التذكرة والوعظ) .

يدفعنا هذا التلازم بين عنوانات مقامات "ابن الجوزي" ومصنفاته الفكرية إلى التساؤل عن علّة الصلة القوية بينهما ؛ فيبدو أن الوعظ بوصفه سمة بارزة في المصنفات والمقامات قد سيطر على رؤية "ابن الجوزي" للعالم ، فحتّم على مصنفاته ملازمة مقاماته ، أو حتّم على مقاماته الاتكاء على مصنفاته، وربما يعود السبب في هذا التلازم إلى عصر "ابن الجوزي" الذي كان يتطلب منه أن يُسوِّغ الوعظَ في قالبٍ أدبي فني للعامة ، وهو "المقامات" ، وقالب منهجي للخاصة ، وهو : "المصنفات الفكرية".

الملاحظ على شعرية هذه العنوانات ، بتنوع المقاصد التي تبلورها ، أنها لم تكن عتبات إيحائية ، ولا عتبات اغرائية ، إنما اقتصرَت على الوظيفة التعيينية وهي بهذا الاقتصار تكشف عن قانونها بوصفها رسالة تتوجه إلى مُرسل إليه تتبغى إبلاغه بوضوح ومباشرة ؛ ويبدو ذلك راجع لهيمنة الوعظ

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الزمخشري وابن الجوزي".....(264)

على المقامات , فلما كان الوعظ ينشد استقامة المُتَعِظِ , فلا بد للأخير من أن يُبَلِّغَ للمرسل إليه باستقامة , ووضوح , ومباشرة .
بقى أن نُشير إلى قضية تتعلق بعنوانات المقامات عندهما , فالمتمأمل في عنوانات "الزمخشري" يجد دلالتها تتحرك في فضاء الوعظ الديني , والاعتزال . في حين يجد عنوانات "ابن الجوزي" تتحرك في نسق من الوعظ الديني أيضاً , والتعليمي . واتسمت العنوانات كلها بالوضوح , والمباشرة , والتركيز على الوظيفة التعيينية لمضمون المقامة أنها عنوانات متداولة بين الناس , فهي تفصح عن قلب النص وقد جاءت موافقة مع قصد المؤلف . إلى جانب دلالاتها التي تحمل أفكاراً إنسانية وأخلاقية أرادوا ممارستها وترسيخها في الأذهان .

المبحث الثاني : عتبة الاستهلال

المنقلة النوعية التي أحدثها "جيرار جنيت" في دراسة العتبات لفتت الأنظار صوب استهلال النصوص بوصفه (الانبثاق الأولى للسان النص إذا ما شهِمنا النص بالجسد الراوي , فهو الذي يخلق اشكالية الدخول والاهتمام النصي نحو طبقات النص , ولسان النص هو الذي يقود القارئ إلى التشبث به ومن ثم قراءته قراءة استطلاع أولي , ثم نقدي , فالكلمة الأولى أو السطر الأول هو الذي يفتح الأبواب أمام المتلقي للالتقاء بالنص المكتوب)^(١١) .

يتموضع الاستهلال وسيطاً بين عنوان النص ومتمنه , ويمتلك (فاعلية شعرية تتلمس التركيز الدلالي في هذه المنطقة المركزية)^(١٢) وأهميته ترجع لكونيه (يُنشئ علاقة توتر مثالية وضرورية بين بين القراءة والنص السردية منذ اللحظات الأولى للمواجهة)^(١٣) .

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الزمخشري وابن الجوزي".....(265)

في هذا المحور من الدراسة سنقف على الاستهلال في "مقامات الزمخشري" "وابن الجوزي": بغية معرفة شعريتها، وقوانينها الضابطة، وعلاقتها بالوعظ بوصفه ظاهرة جليّة في المقامات كلها.

تجدربنا الإشارة هنا إلى قضية تتعلق باستهلال "مقامات الزمخشري" فقد التزم "الزمخشري" في مقاماته كلها باستهلال واحد وهو (يا أبا القاسم) ثم يبدأ الراوي بسرد ما يريد قوله للمروري له (أبي القاسم) ما عدا مقامة واحدة وهي "مقامة التسليم" فلم يلتزم "الزمخشري" بهذه اللازمة الاستهلالية وبأشْرده مباشرة بقوله: (جديدان يبلى بتناسخهما كل جديد)^(١٤)، وقد يرجع سبب هذا إلى المقامة نفسها كونها تتحدث عن حقائق ثابتة موصولة بشروق الشمس وغروبها، وما ينتج عنهما من تعاقب ليل والنهار، فشعرَ الراوي بأنه ليس بحاجة لمروي له يبلغه هذه الحقيقة الثابتة؛ التي يعرفها الجميع.

تجدربنا الإشارة هنا إلى قضية تتعلق باستهلال "مقامات الزمخشري" فقد التزم الزمخشري في مقاماته كلها باستهلال واحد وهو (يا أبا القاسم) ثم يبدأ الراوي بسرد ما يريد قوله للمروري له (أبي القاسم) ما عدا مقامة واحدة وهي "مقامة التسليم" فلم يلتزم الزمخشري بهذه اللازمة الاستهلالية وبأشْرده مباشرة بقوله: (جديدان يبلى بتناسخهما كل جديد)^(١٥)، وقد يرجع سبب هذا إلى المقامة نفسها كونها تتحدث عن حقائق ثابتة موصولة بشروق الشمس وغروبها، وما ينتج عنهما من تعاقب ليل والنهار، فشعرَ الراوي بأنه ليس بحاجة لمروي له يبلغه هذه الحقيقة الثابتة؛ التي يعرفها الجميع.

في الجدول الآتي ايجاز لعتبة الاستهلال في "مقامات الزمخشري" كلها

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمضري وابن الجوزي".....(266)

ت	عنوان المقامة	استهلالها	نوعه	الصفحة
١	مقامة المرشد	إن خصال الخير كتفاح لبنان	جملة اسمية	١٦
٢	مقامة التقوى	العمر قصير وإلى الله المصير	جملة اسمية	٢١
٣	مقامة الرضوان	أجل مكتوب وأمل مكذوب	جملة اسمية	٢٣
٤	مقامة الارعواء	شهوتك يقضى فأنمها	جملة اسمية	٢٦
٥	مقامة الزاد	اترك الدنيا قبل أن تترك	جملة فعلية	٣٠
٦	مقامة الزهد	ما لك لا ترفض هذه الفانية رفضاً	شبه جملة	٣٣
٧	مقامة الإنابة	هل لك في جاذر جاسم إن أنعمت	شبه جملة	٣٧
٨	مقامة الحذر	احزر نفسك إن تعلقت ببعض أطرافها	جملة فعلية	٤٢
٩	مقامة الاعتبار	قد رأيت العصرين	جملة فعلية	٤٦
١٠	مقامة التسليم	جديدان يبلى بتناسخهما كل جديد	جملة اسمية	٥٠
١١	مقامة الصمت	زعمت أنك ما أمت بمعاطاة كأس	جملة فعلية	٥٥
١٢	مقامة الطاعة	تبتل إلى الله وخل ذكر الخصر المبتل	جملة فعلية	٥٨
١٣	مقامة المندرة	فيئتك إلى الله من صنعه وفضله الغامر	جملة فعلية	٦٢
١٤	مقامة الاستقامة	نصبت لك غاية فتجشم في ابتدارها النصب	جملة فعلية	٦٦
١٥	مقامة الطيب	تمن على فضل الله أن يجعل سقياك من زلال المشرب	جملة فعلية	٦٩
١٦	مقامة القناعة	اقنع من القناعة لا من القنوع	جملة فعلية	٧٣
١٧	مقامة التوقي	لا نقولن لشيء من سيئاتك حقير	جملة فعلية	٧٨

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمخسري وابن الجوزي".....(267)

١٨	مقامة الظلف	ليت شعري أين يذهب بك	جملة اسمية	٨٢
١٩	مقامة العزلة	أزل نفسك عن صحبة الناس واعزلها	جملة فعلية	٨٩
٢٠	مقامة العفة	بسأت نفسك بالشهوات	جملة فعلية	٩٧
٢١	مقامة الندم	إنك لفي موقف صعب بين حوبة ركبتها	جملة اسمية	١٠٥
٢٢	مقامة الولاية	تأمل بيت الناظم تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب	جملة فعلية	١١٠
٢٣	مقامة الصلاح	حتى م تلهو وتلعب	شبه جملة	١١٤
٢٤	مقامة الاخلاص	للسيد سيادته وعلى العبد عبادته	شبه جملة	١١٨
٢٥	مقامة العمل	لا تسمع لقولهم فضل مبین	جملة فعلية	١٢١
٢٦	مقامة التوحيد	أفلاك مسخرة وكواكب مسيرة	جملة اسمية	١٢٨
٢٧	مقامة العبادة	من أهان نفسه لربه فهو مكرم	جملة فعلية	١٣١
٢٨	مقامة التصبر	نفسك إلى حالها الأولى نزاة	جملة اسمية	١٣٦
٢٩	مقامة الخشية	ما بالك وبال كل من ترى	جملة اسمية	١٤١
٣٠	مقامة اجتناب الظلمة	إن رأيت أن لا تزور عاتكة متغزلا	جملة فعلية	١٤٦
٣١	مقامة التهجذ	أكرم النفوس أتقاها	جملة فعلية	١٥٢
٣٢	مقامة الدعاء	حسبك ما أسلفت من الصبوات فأمسك	جملة اسمية	١٥٦
٣٣	مقامة التصدق	ضروب السخاء جمّة دثره	جملة اسمية	١٦٠
٣٤	مقامة الشكر	نعم الله عليك لا تحصر ولا تحصى	جملة اسمية	١٦٤

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمخسري وابن الجوزي".....(268)

١٧١	شبه جملة	لله عباد رهنوا بحق الله ذمهم	مقامة الاسوة	٣٥
١٧٥	جملة اسمية	العجب منك تعمل أعمال الأشرار	مقامة النصح	٣٦
١٧٨	جملة اسمية	ما أنت وإن خلوت وحدك بفريد	مقامة المراقبة	٣٧
١٨٢	جملة فعلية	لقد صحبت طويلاً رجالات قومك	مقامة الموت	٣٨
١٨٧	جملة فعلية	اجعل كتاب الله نجيبك فنعم النبي	مقامة الفرقان	٣٩
١٩٤	جملة اسمية	إن الذي خلقك فسواك ركب فيك عقلك وهواك	مقامة النهي عن الهوى	٤٠
١٩٩	جملة اسمية	إن رداء الوقار والحلم أزين ما تعطف به ذو العلم	مقامة التماسك	٤١
٢٠٣	جملة فعلية	ما ضرك لو أطعت ناهي النبي	مقامة الشهامة	٤٢
٢٠٧	جملة اسمية	يا أسفي على ما أمضيت من عمرك	مقامة الخمول	٤٣
٢١١	جملة اسمية	يا خابط عشوات الغي	مقامة العزم	٤٤
٢١٤	جملة اسمية	كل سيف يحادث بالصقال دون لسان	مقامة الصدق	٤٥
٢١٨	جملة فعلية	أعجزت أن تكون مثل همزة الاستفهام	مقامة النحو	٤٦
٢٢٤	جملة فعلية	لن تبلغ أسباب الهدى بمعرفة الأسباب	مقامة العروض	٤٧
٢٣٨	جملة اسمية	شأنك بقافية رأسك وعقدها	مقامة القوافي	٤٨
٢٤٦	جملة اسمية	الله خلع من رقبتك ربة المطامع	مقامة الديوان	٤٩
٢٥٥	جملة فعلية	استنكف أن تشتري المتاع القليل الفاني بالملك الكبير	مقامة ايام العرب	٥٠

إنَّ معاينة هذا الجدول الذي يوجز استهلال "مقامات الزمخشري" تضعنا أمام توازن بين السردى والوصفى إذا (ما عُوِين السردى معاينة قائمة على الحركة وعدم الثبات والسكون في الفعل . أما الوصفى فيدور حول ثبات الاسم وسكونه)^(١٦) فقد شكَّل حضور الجملة الفعلية "ثلاث وعشرون جملة" , في حين حضرت الجملة الإسمية "بائتتين وعشرين جملة" , أما شبه الجملة في كان "بخمسة جُمَل" بصيغة الجار والمجرور .

إذا ما فتحنا عن شعرية هذا التوازن بين السردى والوصفى في استهلال المقامات , فإننا نجد ذلك نابغاً من الوعظ نفسه بوصفه ظاهرة جلية في المقامات كلها ؛ ولكي تبلغ هذه الظاهرة رسالتها إلى المرسل إليه لا بد لها من طَرَقِ ذهن متلقها بأدوات لسانية من صنو مضامينها .

لما كان الوعظ يبتغي الاقناع والتأثير في المتلقي فلا بد للواعظ من ربط معانيه الوعظية بمتواليات لسانية تملك خصيصة اختراق الحدث , وتبليغه بجمال عال , فاضطلعت الجملة الفعلية بهذه المهمة ؛ لأن الجملة الفعلية (تعمل على تفعيل منطوق السرد , والوصول به إلى مستوى عال من الأداء الجمالي)^(١٧) , ولا بد للواعظ أيضاً من تبليغ معانيه الوعظية بمتواليات لسانية تشي بثبات المضمون واستقراره , فاضطلعت الجملة الاسمية بهذه المهمة ؛ لأنها مؤكدة بثباتها واستقرارها .

لوركَزنا النظر على الجمل الاسمية التي استهل بها الزمخشري مقاماته لوجدنا بعضها مؤكداً بـ(أن) , نحو: (إن خصال الخير, إنك لفي موقف , إن الذي خلقتك فسواك , إن رداء الوقار) , وهذا يُعزز ما ذهبنا إليه في كون الوعظ يبتغي الاقناع ؛ فالتوكيد بـ(أن) وسيلة يستعملها المرسل التأثير على المرسل إليه , واقناعه بفحوى خطابه , ويزداد الأمر أهميةً عندما يكون

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمخشري وابن الجوزي".....(270)

التوكيد داخل خطابٍ أدبي (تُسقطُ فيه الوظيفةُ الشعريَّةُ مبدأً التماثلِ لمحور الاختيار على محور التأليف)^(١٨)، فانتخاب (مؤكِّدٍ من بين مجموعة مؤكِّدات يضمُّها محور التماثل لا يسلم من بعد اقناعي)^(١٩).

أما إذا سلطنا الضوء على الجمل الفعلية التي استهل بها الرمخشري مقاماته لوجدناها مُصدِّرة بأفعال انجازية، نحو: (اترك، احرز، تبثّل، ازل، اقنع، لا تقولن، لا تسمع، اجعل)، وهذا يكشف عن سلطة الواعظ على المتعظ؛ لأنَّ الوعظ لا يتحقق حين يُجرِّد من سلطة استعلاء الواعظ، التي تجعل وعظه موصولاً بإنجاز عمل ما.

أما مقامات "ابن الجوزي" فقد جاء استهلالها مجرداً من جملة نداء المروي له، وبأشرت سردها مباشرة دون لازمة يكررها في كل مقامة، وفي الجدول الآتي رصد لاستهلال "مقامات ابن الجوزي".

ت	عنوان المقامة	استهلالها	نوعه	الصفحة
١	مقامة في حكم الأشياء	بدوت خاليا والفجر قد تلا السحر	جملة فعلية	٧
٢	في وصف قاص	حضرت ليلة مع رفقة من منتخب الأصادق	جملة فعلية	١٤
٣	فيما سبق (في وقائع قصص)	جمعتنا الدار لوعد أبي التقويم	جملة فعلية	٢٦
٤	فيما سبق (فيمن أسبع عليهم النعم)	كابدنا بوعد أبي التقويم ما كبدنا	جملة فعلية	٣٩
٥	فيما سبق (في نبينا محمد صل الله عليه وسلم)	اجتمع وجوهنا لوعد أبي التقويم فاحتبس	جملة فعلية	٤٦

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمخسري وابن الجوزي".....(271)

٥٠	جملة فعلية	حضرنا وانتظمتنا وانتظرنا في الليلة الآتية	فيما (في تنمة أوصاف نبينا صل الله عليه وسلم)	٦
٥٣	جملة فعلية	ساورني غم غلب وشاورني هم وثب	في الحب وإيثار محبة الحق	٧
٦٤	جملة فعلية	جلست مع الفكر بناد من الأندية	في السفر إلى الله عز وجل	٨
٧٢	جملة فعلية	أملك الهوى بالدنيا فصنع في البيت دعوة	في إيقاظ العاقبين	٩
٧٧	جملة فعلية	خلوت بنفسي في بعض الأيام	في محاكمة النفس وصاحبها إلى العقل	١٠
٨٧	جملة فعلية	دعوت في بعض أيام الفلاح الجفلى	في ذم الأكل في قوة العز	١١
٩٧	جملة فعلية	رأيت جماعة من الغزاة	في الغزاة	١٢
١٠٤	جملة فعلية	خرجنا ونحن قنف إلى روضة أنف	في النهي عن النظرة	١٣
١١١	جملة فعلية	رأيت النفس والهوى في زمان الشباب قد تهادنا	في الشيب (في) مفارقة النفس للهموى)	١٤
١١٩	جملة فعلية	خرجت من كركربي الى السياحة	في الخائفين (في) الوحدة والعزلة)	١٥
١٢٨	جملة فعلية	ما زالت صحبة الفكر الأمينة ديدني	في النفس (في) سلطنة النفس والهوى وسلطنة	١٦

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمفشري وابن الجوزي".....(272)

			القلب ووزيره	
١٣٥	جملة فعلية	تغشاني غم اغشاني فشغلي وكف شاني عن شاني	في المواعظ	١٧
١٤٤	جملة فعلية	سمعت يوما صوت ضجيج : فقلت : ماذا ؟ قيل الحجيج	في ذكر الحج والعمرة	١٨
١٥٨	جملة فعلية	سمعت بشخص قد تحلى بالوحدة	في الخلوة	١٩
١٦٤	جملة فعلية	انقض على بابي كالصقر سائل	في الصدقة	٢٠
١٧٣	جملة فعلية	شاعت هموم قلبي لبلايا بلا كيل اعثرت	في ذم البخل والطعام وذكر المريدين	٢١
١٨٢	جملة فعلية	بت ليلة أسير الغموم في البيت	في حسن الصحة والمدارة	٢٢
١٩٠	جملة فعلية	كانت نفسي تطالبي بالنزهة	في الربيع	٢٣
١٩٨	جملة فعلية	ما زلت أحب في العلوم الإعراب	في شيء من اللغة	٢٤
٢٠٥	جملة فعلية	استولت على قلبي أمراض مختلفة	في طب القلوب	٢٥
٢١٢	جملة فعلية	ضاق عطفي من وطني فطلبت السفر	في ذم الدنيا ومدحها	٢٦
٢١٨	جملة فعلية	خرجت يوم الجمعة هائما أطلب الجوامع	في تفضيل العلم والعمل	٢٧

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمفشري وابن الجوزي".....(273)

٢٢٤	جملة فعلية	تناص العقل والهوى في خصوصة	في ذم الهوى	٢٨
٢٣١	جملة فعلية	خرجت بغي الطارق بكرة أحد	في ذم إبليس	٢٩
٢٣٧	جملة فعلية	رأيت قوما أعرابا يرحلون إلى بوادئهم	في المحبين	٣٠
٢٤٤	جملة فعلية	درج لبعض إخواننا ولد	في التعازي	٣١
٢٥٢	جملة فعلية	كنت قليل الصبر عن زيارة المشاهد	في ذم البخل ومدح الكرم	٣٢
٢٦٠	جملة فعلية	أهل رمضان فقامت عجلا أحضر إلى عبيدي	في وداع رمضان	٣٣
٢٦٨	جملة فعلية	كان بعض السلاطين ينتقل من سهوة سهو	في وعظ السلطان	٣٤
٢٧٤	جملة فعلية	خرجت منفلسا الى ساحة سياحتي	في وصف واعظ	٣٥
٢٨٤	جملة فعلية	علق بقلبي شخص هوى	في دواء العشق	٣٦
٢٩٦	شبه جملة	من أعجب ما يرى في عرض اسفاري ما جرى في بعض أسفاري	في العزلة	٣٧
٣٠٣	جملة فعلية	سمعت أن ابا التقويم قد قدم البلد	في الأمثال	٣٨
٣١٠	جملة فعلية	خرجت مع نجي نجيب كل منا على نجيب	في الوعظ	٣٩
٣١٩	جملة فعلية	كر على كرسي فضاقت بي الساحة	في صوفية الزمان	٤٠
٣٢٨	جملة فعلية	دخلت يوما الى المسجد	في علم القرآن	٤١

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمفشري وابن الجوزي".....(274)

		الجامع		
٤٢	في هزل وجد	ساءت المكاسب فخرجت أطلب الحلال	جملة فعلية	٣٣٨
٤٣	في مخاطبة العقل للنفس	أفانيت في رياضة نفسي بالعلم والعمل والحبر والخبر	جملة فعلية	٣٤٨
٤٤	في الوعظ	ما زلت أعاهد على أن اتعاهد المواعظ	جملة فعلية	٣٥٥
٤٥	في الأحاجي والمكاتبة والمواعظ	طالت غيبة أبي التقويم عني فاشتقت	جملة فعلية	٣٦١
٤٦	في الزهد في المال	غلب على قلبي حب المال أجمعه	جملة فعلية	٣٧٦
٤٧	في الاستسقاء	كان بلدنا كثير النبات حتى الفاغيه	جملة فعلية	٣٨٤
٤٨	في ضرب الأمثال وحكم الحيوان	خلوت بأبي التقويم ليلة من الليالي الطوال	جملة فعلية	٣٩٢
٤٩	في ذم أبناء الدنيا	بقيت مدة لا اسمع لابي التقويم بخبر	جملة فعلية	٤٠٠
٥٠	في الأخ الصادق	صحبت أبا التقويم وكان سيد العقلاء	جملة فعلية	٤٠٩

تضعنا معاينة جدول استهلالات "ابن الجوزي" على هيمنة واضحة
للسردي على حساب الوصفي ، فقد شكلت الجملة الفعلية حضوراً لافتاً
للنظر في الاستهلالات ، فبلغ عددها "تسع وأربعون جملة" ولو أمعنا النظر في

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمضري وابن الجوزي".....(275)

هذه الجمل الفعلية لوجدنا أن تحتفي بالزمن الماضي ؛ ذلك لأن الجملة الفعلية المُصدَّرة بفعل ماض بلغ عددها "إحدى وأربعون" جملة من المجموع الكلي للجمل الفعلية ، وهذه الهيمنة تكشف عن مرجعيات ماضوية للوعظ الذي تضمنته مقاماته ، بل ربما هناك قصدية فنية تمنح المعاني الوعظية مقبوليةً عند المتلقي لأنها مُستمدَّة من خبرات الماضي المتراكمة .

ولما كانت الشعرية تحتقب الأسلوبية في اجرائها التحليلي ؛ بغية الكشف عن شفرات النصوص^(٢٠) فإن تسليطنا الضوء على هذه الأفعال الماضية يضعنا أمام فاعل يعود على المتكلم نفسه ، نحو (بدوتُ ، حضرتُ ، جلست ، خلوت ، دعوت ، رأيت ، خرجت ، سمعت ، بتّ ، كتبت ، دخلت ، أفنيت ، بقيت) ، وفي هذا التشكيل الأسلوبي تُمنح المعاني الوعظية مصداقيةً ؛ كونها صادرة من ذات مُشاركة في الحدث أو الفعل.

بناءً على ما تقدم يمكن القول : إن الشعرية بوصفها قوانين ضابطة للنص ، ومتحكمة في بناه اللسانية ، أفصحت في استهلال المقامات عن قصدية واعية لسيرورة الرسالة التواصلية ؛ بغية تبليغها إلى المرسل إليه بوضوح ، مشحون بدفق جمالي ، يؤثر في المتلقي ، ويحاول أن يقنعه بما ينضوي تحت المقامات من وعظ ، فقد اضطلعت الاستهلالات بوظيفة شعرية تأثيرية ، تحاول السيطرة على المتلقي ومن ثم ادراجه في عوالم المقامة ؛ كيما يتسلل إليه الوعظ المهيمن على فضائها العام.

الخاتمة:

إنّ "مقامات الزمخشري وابن الجوزي" حاولت أن تحاكي مشاكل العصر في تلك الحقبة الزمنية بطريقة فنية محاولاً لمعالجتها ، وقد كشفت الدراسة على أن المقامات وصلت إلينا خالية من عنوان رئيس يحوي مضامينها وإنما جاءت العنوانات فرعية وحملت مقاصد عدة منها : دينية ، واجتماعية ، وذاتية ، ونفسية ، وأدبية ، ولغوية ، وارشادية ، وعظمية ، وطبيعية جغرافية ، وقد توصلنا على أن هذه العنوانات لم تكن ايحائية ولا اغرائية وإنما احتوت على الوظيفة التعيينية – أما عتبة الاستهلال فقد كشفت الدراسة على أن "الزمخشري" استهل جميع مقاماته - عدا مقامة واحدة - بنداء واحد وهو (يا ابا القاسم) ثم يبدأ الراوي بسرد المقامة. أما "مقامات ابن الجوزي" فقد جاءت خالية من جملة نداء المروي له ، حيث بدأ الراوي بسرد المقامة مباشرة.

الهوامش

- ١- ينظر: عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص) : ٦٥ وينظر: المضمرة الاشهارية في الرواية العراقية (حقة ما بعد الانفتاح) : ٤٥.
- ٢- عتبات : ٦٧
- ٣- العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي : ١٦.
- ٤- ينظر: عتبات ٦٧.
- ٥- ينظر: العنوان في الرواية العربية : ١٥ . وسيميائية العنوان في روايات عز الدين جلاوي، (رسالة ماجستير) : ٨٧.
- ٦- ينظر: عتبات : ٧٨.
- ٧- ينظر: نفسه : ٨٣.
- ٨- ينظر: نفسه : ٨٥.
- ٩- ينظر: عتبات : ٨٧ . وينظر: فعالية العتبات النصية ودلالاتها ، قراءة في الخطاب الروائي الجزائري (رواية الورم لمحمد ساري انموذجا) ، (أطروحة دكتوراه)، : ٥٧.
- ١٠- ينظر: سيمياء العنوان : ١٩- ٢٠.
- ١١- المغامرة السردية جمالية التشكيل القصصي رؤية جمالية في مدونة فرج ياسين القصصية : ٢٥٦ .
- ١٢- العتبات في رواية الأجيال: ١٤١.
- ١٣- التجربة والعلامة القصصية رؤية جمالية في قصص أوان الرحيل لعلي القاسمي : ٤٩ .
- ١٤- مقامات الزمخشري : ٥٠ .
- ١٥- مقامات الزمخشري : ٥٠ .
- ١٦- المغامرة السردية : ٢٦٠ .
- ١٧- المغامرة السردية : ٢٦٠ .
- ١٨- قضايا الشعرية: ٣٣.
- ١٩- الأساليب الحجاجية في الخطاب السياسي عند الشعراء الزهاوي والرصافي : ٨٧.

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمفشري وابن الجوزي".....(278)

^{٢٠} ينظر: الشعرية والنقد الأدبي عند العرب مدخل نظري ودراسة تطبيقية : ٩٨ .

المصادر والمراجع

١. الأساليب الحجاجية في الخطاب السياسي عند الشعارين الزهاوي والرصافي : (رسالة ماجستير) اعداد الطالب علي جواد عبادة , جامعة القادسية كلية الآداب السنة الدراسية: ٢٠١٦/٢٠١٥ .
٢. التجربة والعلامة القصصية رؤية جمالية في قصص أوان الرحيل لعلي القاسمي : د. محمد صابر عبيد ، عالم الكتاب الحديث ، اريد - الأردن ، ط ١ ، ٢٠١١ .
٣. سيمياء العنوان ، (رواية تلك المحبة للحبيب السائح) ، اعداد الطالبتان حنان عباسية ونادية العيفاوي ، (رسالة ماجستير) ، جامعة العربي بن مهدي — ام البواقي — كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية : ٢٠١٧/٢٠١٨ .
٤. سيميائية العنوان في روايات عز الدين جلاوي، (رسالة ماجستير) ، اعداد الطالب بادحو أحمد ، جامعة وهران ، كلية الآداب والفنون، السنة الجامعية : ٢٠١٥/٢٠١٦ .
٥. الشعرية والنقد الأدبي عند العرب ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، اعداد الطالب بغداد يوسف ، (أطروحة دكتوراه) ، جامعة جيلالي ليايس / سيدي بلعباس ، كلية الآداب واللغات والفنون ، السنة الجامعية : ٢٠١٧/٢٠١٨ .
٦. عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناس) ، عبد الحق بلعاد، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .

شعرية عتبة العنوان والاستهلال في "مقامات الرمخشري وابن الجوزي".....(279)

٧. العتبات النصية في (رواية الأجيال) العربية ، سهام السامرائي، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦ ، د.ط.
٨. العنوان في الرواية العربية ، عبد الملك اشيهون، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع ٢٠١١ ، د.ط.
٩. العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ، محمد فكري الجرار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ ، د.ط .
١٠. فعالية العتبات النصية ودلالاتها ، قراءة في الخطاب الروائي الجزائري(رواية الورم لمحمد ساري انموذجا) ، (أطروحة دكتوراه)، اعداد الطالبة مهاجي فايذة
١١. قضايا الشعرية ، رومان ياكبسون ، تر: محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، المغرب .الدار البيضاء.
١٢. المضمرة الاشهارية في الرواية العراقية (حقب ما بعد الانفتاح) ، د. علي جواد عبادة ، ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠٢٠ م.
١٣. المغامرة السردية جمالية التشكيل القصصي رؤية جمالية في مدونة فرج ياسين القصصية : د. سوين هادي جعفر، مؤسسة الشارقة للثقافة والإعلام ، ط ١ ، ٢٠٢١ م .
١٤. مقامات ابن الجوزي ، الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تح : محمد نغش ، دار فوزي للطباعة ، ١٩٨٠ م .
١٥. مقامات الرمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمر الرمخشري ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٨٢ .